كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في افتتاح المؤتمر الذي يحمل العنوان التالي : "المحكمة الجنائيّة الدوليّة والبلاد العربيّة" في مركز الدراسات الحقوقيّة للعالم العربيّ (CEDROMA) وكليّة الحقوق والعلوم السياسيّة في جامعة القدّيس يوسف، في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٥، في الساعة الثالثة من بعد الظهر، في مدرّج غولبنكيان، حرم العلوم الإجتماعيّة.

"إنّ إكرام الضيف لمن مكارم الأخلاق"، يقول المثل العربيّ. لذلك اسمحوا لي أن أحيّي في هذه الكلمة الظرفيّة ضيوفنا وأرحّب بهم وبكم جميعًا أيضًا، أيّها المشاركون الأعزّاء في هذا المؤتمر وأصدقاء جامعة القدّيس يوسف وكليّة الحقوق والعلوم السياسيّة وبالطبع مركز الدراسات الحقوقيّة للعالم العربيّ CEDROMA الذي ينظّم هذا المؤتمر حول "المحكمة الجنائيّة الدوليّة والدول العربيّة". أودّ أن أوجّه شكري للسيّدة ماري كلود نجم، مديرة مركز الدراسات الحقوقيّة للعالم العربيّ CEDROMA، من أجل الإستمراريّة التي تؤمّنها في إدارة هذا المركز بعد انتهاء ولاية البروفسور جورج خديج الذي أشيد بإدارته الطويلة للمركز. هذه الإستمراريّة التي لا تترك مكانًا للمتغيّرات الطارئة تعطي معنى لكلّ الأعمال التي قام ويقوم بها المركز بدءًا بالدراسة الميدانيّة الواسعة حول حقوق الطفل في العالم العربيّ وانتهاءً بنشر النسخة العربيّة للقانون المدنيّ الفرنسيّ المقارن بتشريعات أربع عشرة بلد عربيّ. إنّها خدمة حقيقيّة تلك التي يقدّمها هذا المركز إلى العالم العربيّ وليس من التكرار العقيم أن نصرّ اليوم على هذه الرسالة الحيويّة الدائمة والمستقبليّة، بفعل أنّ عالمنا يواجه العديد من المشاكل النزاعيّة التي وحدهم الباحثون والخبراء يمكن أن ينظروا إليها عن كثب وتقديم أجوبة منهجيّة تتكيّف مع الوضع الخاصّ، آخذين في الإعتبار المبادئ والقيم العالميّة التي تحرّك العقل الشموليّ.

في الواقع، بالنظر عن كثب إلى عنوان مؤتمركم "المحكمة الجنائيّة الدوليّة والبلاد العربيّة،" قرأتُ مجدّدًا في بعض الأعمال الفلسفيّة لديكارت Descartes وإيمانويل كانط Emmnanuel Kant ويورغن هابرماس Jürgen Habermas مرورًا ب ف. و. هيغل F.W. Hegel، أنّ فكرة حكومة عالميّة تدير شؤون كوكبنا ليست نادرة وتتطوّر كوحيّ نزل على الأنبياء، كإحدى الثوابت وكفكرة متجذّرة في مكان ما في وعينا أو لا وعينا البشريّ الأكثر عمقًا والأكثر تمرّدًا. ما يتمّ السعي إليه وراء هذه المطالبة، ليس بحثًا عن تنظيم أفضل لشؤون الناس، ولكن السلام الشامل القائم على أساس مبدأين أو ثلاثة مبادئ : الناس يستحقّون هذا

السلام، هم الذين عاشوا فترة طويلة في عدم الأمان وعانوا من أهوال الحرب وفظائعها، العدالة هي الكلمة الأساسيّة لجعل هذا الحكم شاملاً، تتمثّل مهمّة هذه العدالة في مساعدة الناس على عيش تعدديّتهم بانسجام. أمام هذا الواقع يتوجّب على الفلسفة والفلاسفة والحقوقيّين أن يكونوا في طليعة هذا الكفاح من أجل السلام، وبناء مدينة المواطنين المحترمين لقانون إنسانيّ واحد من الحقوق والواجبات. في هذا السياق من الأمور، الحق في التدخّل باسم القيم الإنسانيّة الأكثر شموليّة وباسم مبدأ القيام بفعل صائب ذي بعد عالميّ، هذا الحقّ هو قاعدة أساسيّة تفتح المجال لضرورة وجود مؤسّسة شاملة منصفة وعادلة كمثل المحكمة الجنائيّة الدوليّة.

في الحقيقة، نحن بعيدون جدًّا في عالمنا في الشرق الأدنى والأوسط، وفي أيّامنا هذه، عن تلك المدينة الفاضلة التي كانت تراود فكر أفلاطون والفارابي، وهو فيلسوف مقرّب منها وما زال يُدَرَّس في كتب الفلسفة المدرسيّة إذا وُجِدَت. لأنّ عالمنا كاد يقصي الفلسفة من معالمه والعدالة تسعى جاهدة لتبقى مستقلّة وتحافظ على ثقلها في مسيرتها نحو عالم أكثر مواطنة. إنّ الصراعات تندلع بحكم ما هي عليه والمسؤولون عن الظلم يجابهون كلّ عدالة، سواء كانت عدالة العالم أوعدالة السماء، لذلك نحن بحاجة ماسّة إلى وجود هذه المحكمة الجنائيّة الدوليّة نفسها لكي تثير على الأقلّ بعض الخشية في النفوس ولكي يُرغَم كلّ شخص للخضوع إلى المساءلة عن أفعاله التي تفتقر إلى الفضيلة والإنسانيّة.

وأخيرًا لا يمكنني إلاّ أن أتمنّى التوفيق لأعمالكم والشجاعة في بلورة أفكاركم حول فرصة إعطاء دور أكبر لمؤسّسة عالميّة شاملة في تاريخ عالمنا العربيّ. الكثير من الأشخاص ينتظرون الوقت الذي يتمكّنون فيه من رفع صوتهم ويصرخون : يحيا العدل.